باب: الهجرة

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة، فقالت: يا أبت، هذا رسول الله ﷺ، فبأبي وأمي ما جاء به هذه الساعة إلا أمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هل شعرت أن الله مؤذن لي في الخروج؟**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: فالصحابة يا رسول الله، قال: «**الصحابة**». قال: إن عندي راحلتين قد علفتهما منذ كذا وكذا انتظاراً لهذا اليوم، فخذ إحداهما، فقال: «**بثمنها يا أبا بكر**»، فقال: بثمنها بأبي وأمي إن شئت، قالت: فهيّأنا لهم سفرة، ثم قطعت نطاقها فربطتها ببعضه، فخرجا فمكثا في الغار في جبل ثور، فلما انتهينا إليه دخل أبو بكر الغار قبله، فلم يترك فيه حجراً ـ حِفرة ـ إلا أدخل فيه إصبعه مخافة أن يكون فيه هامة، وخرجت قريش حين فقدوهما في بقائهما، وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة، وخرجوا يطوفون في جبال مكة، حتى انتهوا إلى الجبل الذي هما فيه. فقال أبو بكر ـ لرجل مواجه الغار ـ : يا رسول الله، إنه ليرانا، فقال: «**كلا إن ملائكة تسترنا بأجنحتها**»، فجلس ذلك الرجل قبال مواجه الغار، فقال رسول الله ﷺ: «**لو كان يرانا ما فعل هذا**»، فمكثا ثلاث ليال، يروح عليها «عامر بن فهيرة» مولى «أبي بكر» غنماً لأبي بكر ويدلج ـ أي يخرج من عندهما آخر الليل ـ من عندهما، فيصبح مع الرعاة في مراعيها، ويروح معهم، ويبطىء في المشي حتى إذا أظلم الليل انصرف بغنمه إليهما، فتظن الرعاة أنه معهم، وعبد اللّه بن أبي بكر يظل بمكة يتطلب الأخبار، ثم يأتيهما إذا أظلم الليل فيخبرهما، ثم يدلج من عندهما فيصبح بمكة، ثم خرجا من الغار، فأخذا على الساحل، فجعل أبو بكر يسير أمامه، فإذا خشي أن يؤتى من خلفه سار خلفه، فلم يزل كذلك مسيره، وكان أبو بكر رجلاً معروفاً في الناس، فإذا لقيه لاقٍ فيقول لأبي بكر: من هذا معك؟ فيقول: هادٍ يهديني، يريد الهدى في الدين، ويحسب الآخر

دليلاً، حتى إذا كان بأبيات قديد ـ مكان بين مكة والمدينة ـ وكان على طريقهما، جاء إنسان إلى بني مدلج فقال: قد رأيت راكبين نحو الساحل، فإني لأجدهما لصاحب قريش الذي تبغون، فقال سراقة بن مالك: ذانك راكبان ممن بعثنا في طلبة القوم، ثم دعا جاريته فسارَّها، فأمرها أن تخرج فرسه ثم خرج في آثارهما، قال سراقة: فدنوت منهما ـ فذكر قصته كما ستأتي ـ قال الهيثمي (ج ٦، ص ٥٤): وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثَّقه ابن حبان وغيره.

وأخرج البيهقي عن ابن سيرين قال: ذكر رجال على عهد «عمر» رضي الله عنه، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فبلغ ذلك «عمر» فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «**يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي**»؟ فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرَّصَد ـ الرقباء ـ فأمشي بين يديك. فقال: «**يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟**» قال: نعم والذي بعثك بالحق، فلما انتهينا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الحجرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرىء، فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل، ثم قال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر. كذا في «البداية» (ج ٣، ص ١٨٠). وأخرجه الحاكم أيضاً كما في منتخب «كنز العمال» (ج ٤، ص ٣٤٨).

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد ـ ﷺ ـ فأسعى ولا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد ـ ﷺ ـ فأسعى ولا أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، فكمنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه من بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق ـ الشابات ـ لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما

رأينا منظراً شبيهاً به، قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض، فلم أرَ يومين شبيهاً بهما. ورواه البيهقي بنحوه. كذا في «البداية» (ج ٣، ص ١٩٧).

* * *

هجرة عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم

أخرج ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أتعدنا لما أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ التَّناضُب ـ واد قرب المدينة ـ من أضاة ـ مستنقع ـ بني غفار فوق سُرِف ـ موضع قرب مكة ـ وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش عند التناضب، وحبس هشام فافتتن، فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام، إلى عياش وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة فكلماه وقالا له: إن أمك قد نذرت ألَّا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك فرقَّ لها، فقلت له: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلت، قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فآخذه، قال: قلت: والله إنك لتعلم إني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما، قال: فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك قلت: أما إذا فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم ريب فانج عليها، فخرج عليها معهما حتى إذا كان ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تغضبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن، قال عمر رضي الله عنه: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتتن توبة، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا

نُصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[1]. قال عمر: وكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى ـ موضع أسفل مكة ـ أصعد بها وأصوب ولا أفهمها حتى قلت: اللهم فهّمنيها، فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة. كذا في «البداية» (ج ٣، ص ١٧٢).

* * *

هجرة عثمان بن عفان رضي الله عنه

أخرج البيهقي عن قتادة رضي الله عنه قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه، سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة، يعني أنساً رضي الله عنه، يقول: خرج عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية رضي الله عنهما بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد ـ ﷺ ـ قد رأيت ختنك ومعه امرأتك، قال: «**على أي حال رأيتهما؟**» قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه المدينة وهو يسوقها، فقال رسول الله ﷺ: «**حجبهما الله، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام**». كذا في «البداية» (ج ٣، ص ٦٦).

* * *

هجرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عن علي رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى «الأمين»، فأقمت ثلاثاً، وكنت أظهر ما تغيبت يوماً واحداً، ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ، حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ

(١) سورة: الزمر، الآيات: ٥٣ ـ ٥٥.

مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهدم، وهنالك منزل رسول الله ﷺ. كذا في «كنز العمال» (ج ٨، ص ٣٣٥).

* * *

هجرة جعفر بن أبي طالب والصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة

وأخرج الإمام أحمد عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ـ ونحن نحو من ثمانين رجلاً فيهم: عبد اللَّه بن مسعود وجعفر، وعبد اللَّه بن عرفطة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى رضي الله عنهم ـ فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا، قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم فقال جعفر رضي الله عنه: أنا خطيبكم اليوم، فاتّبعوه فسلَّم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولاً ثم أمرنا ألاّ نسجد لأحد إلا لله عزَّ وجلَّ، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام، قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشّر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه، وأمر بهدية للآخرين فردُّت إليهما، ثم تعجل عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه حتى أدرك بدراً. وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن. قاله ابن كثير في «البداية» (ج ٣، ص ٦٩).

* * *

هجرة النساء والصبيان

هجرة أهل بيت النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهم

أخرج ابن عبد البر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ خلَّفنا وخلَّف بناته، فلما استقر بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع ـ رضي الله عنهما ـ مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذاها من أبي بكر رضي الله عنه يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهر، وبعث أبو بكر معهما عبد اللَّه بن أريقط رضي الله عنه ببعيرين أو ثلاثة، وكتب إلى عبد اللَّه بن أبي بكر رضي الله عنه أن يحمل أي أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير رضي الله عنهما فخرجوا مصطحبين، فلما انتهوا إلى قديد ـ موضع بين مكة والمدينة ـ اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة أبعرة، ثم دخلوا مكة جميعاً فصادفوا طلحة بن عبيد اللَّه رضي الله عنه يريد الهجرة، فخرجوا جميعاً، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن وحمل زيد أم أيمن وأسامة حتى إذا كنا بالبيداء نفر بعيري وأنا في محفة معي فيها أمي فجعلت تقول: وابنتاه! واعروساه! حتى أدرك بعيرنا وقد هبط الثنية ثنية (هرشي) فسلم الله، ثم إنا قدمنا المدينة، فنزلت مع آل أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يبني مسجده وأبياتاً حول المسجد، فأنزل فيها أهله، فمكثنا أياماً ـ فذكر الحديث بطوله في تزويج عائشة. كذا في «الاستيعاب» (ج٤، ص ٤٥٠).

وعند الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن رجلاً أقبل بزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعاها، فوقعت على صخرة، فأسقطت وهريقت دماً، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن، ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة. قال الهيثمي (ج ٩، ص ٢١٦): وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح.

* * *

هجرة عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصبيان

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قدومنا على رسول الله ﷺ لخمس من الهجرة، خرجنا متوصلين مع قريش عام الأحزاب، وأنا مع أخي الفضل ـ رضي الله عنه ـ ومعنا غلامنا أبو رافع رضي الله عنه، انتهينا إلى العرج فضلَّ لنا في الطريق ركوبة، وأخذنا في ذلك الطريق على الجثجاثة حتى خرجنا على بني عمرو بن عوف حتى دخلنا المدينة، فوجدنا رسول الله ﷺ في الخندق وأنا يومئذ ابن ثمان سنين، وأخي ابن ثلاث عشرة سنة. قال الهيثمي (ج ٦، ص ٦٤): رواه الطبراني في الأوسط.

* * *